واردات السالكين

للأستاذ السيد محمد عبد الشافعي

للدين مراتب ثلاث : إسلام وإيمان وإحسان . وفى كل مرتبة من هذه المراتب منازل هى : ما تعبد به الحق سبحانه وتعالى فى أحكام شرعية قلبية كانت أو قالبية . وأخذ النفس بهذه الأحكام والتحقق بها مع صحة القصد والإقبال على الله بكنه الهمة بغية القرب وحصول المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد هو المراد بسلوك السالك فى طريق الحق ، وتحققه بمنازله ومقاماته . فما هذه المقامات فى الحقيقة إلا مراتب تزكية النفس وترقيها فى مراتب الكمال اللائق بها . ثم للحق تبارك وتعالى عناية خاصة بالمقبلين عليه والمشتغلين بذكره ، فيفيض على قلوبهم فى كل منزلة ومرتبة فى الواردات بما يتناسب مع صفاء النفس وما نزلت فيه من مقام ، حتى تستكمل النفس معرفة ما للمقام من حق ، وما لله عليها فيه من واجب ، وحتى تستأنس النفس فى حالة السير بجميل رعايته ، فتقوى على مواصلة السير والإقبال عليه .

فالواردات سفراء الحضرة الآلهية فى كل مقام ، يحملون إلى السالك ما يراد منه حتى يقوم بمراد الله مستجيبا إلى ما تضمنه وارد الوقت بحكم منزلته ومقامه ، فتارة يأتيه وارد بعلم ، وتارة يأتيه وارد بعمل . وتارة يأتيه وارد بعلم وعمل ، وتارة يأتيه وارد بحال ، وتارة يأتيه وارد بعلم وحال ، وتارة يأتيه وارد بعلم وحال وعمل وما ثم وارد أخر . فالوارد وارد بما ورد وليس معنى الوارد وردا لأنه ورد .

وحقيقة هذه الواردات : هى توجهات الأسماء الإلهية بما أراد الحق من شأن فى عبده ومن عبده ، وللسالك فى التعبير عن هذه الواردات أحوال ثلاثة : إما أن يعبر عنها اختيارا وإما أن يعبر عنها وهو مغلوب تحت سلطان الوجد وإما أن يعبر عنها فى حال وصوله وتمكنه — فالحالة الأولى — دليل

بين على شهرة فيه . ينشأ عنها آفتان الآفة الأولى تقليل أثر الوارد فى قلبه لذهاب نور الوارد ووقف العبارة عنه والآفة الثانيه : عدم الصدق مع الله فى حالة السير إليه، ولذا كان من الضرورى عند القوم للسالك إخباره للمرشد الكامل القائم على تربيته بما يفاض عليه من واردات دون غيره مطلقا، وذلك لضبط الواردات ومعرفة ما بها وما يراد منها وما فيها من لبس ، ومعرفة المصدر لكل وارد حتى يسير المسترشد على نور الهدى النبوى ، إذ لا ضابط ولا ميزات لكل منها الا بالشرع . أما إذا عبر السالك فى وارداته وهو مقهور تحت سلطان الوجد فهذا لاشىء عليه إذ أن له فى ذلك عذره ، لقوله صلى الله عليه وسلم : رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه . إلا أن ذلك دليلا منه على نقصانه قطعا ، إذ أن الكامل لا ينفلت فيه زمام الحال عن قيد العلم أما إذا عبر عنها وهو فى حال تمكنه من معرفة ربه ، فهذا أمر لابد فيه من الإذن وإلا بدت العبارة مكسوفة الأنوار، فتغيب عن فهم السامع لما يشوبها من حجاب الطبع والظلمة . وفى ذلك يتعين ألا يعبر المرء عن وارداته مختاراً ، فإن ذلك يحرمه الصدق مع الله فى سيره ، وما حرم الصدق امرؤ الا كان حاله مردودا عليه . ولا أدل على ذلك مما يجد المعبر عن وارداته قبل كماله من لذة التشوق فيه بأن يعلم الناس ما بينه وبين ربه فى معاملات ولو برئت نفسه لكان ابعد ما يكون من أن يلتفت فى وقت إقباله على ربه إلى غيره ليعلم الغير ما هو عليه من حال ألهمنا الله الرشد وسلك بنا سبيله وجنبنا الالتفات إلى غيره فى وقت المسير إليه ، والله أعلم .

كلمات مضيئـــة

قال الحسن رضى الله عنه :

رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه ، فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله ، وإن خالفه أعتب وأناب ورجع من قريب :